مَفَاتِحَهُ) جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به، وأما المفتاح فجمعه(مفاتيح. (تَنُوءُ) ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله قال ذو الرمَّة:

تنوء بأُخراها فلأْياً قيامها	وتمشي الهُوينى عن قريبٍ فتبهر

العصبة) الجماعة الكثيرة ومثلها العصابة ومنه قوله تعالى (وَنَحْنُ(عُصْبَةٌ) [يوسف: ٨] سميت الجماعة عُصبة لأن بعضهم يتعصب لبعض ويتقوى به (وَيْكَأَنَّ) قال الجوهري: «ويْ» كلمةُ تعجب وقد تدخل على «كأن» فتقول: ويكأنَّ، وقيل إنها كلمة تستعمل عند التنبه للخطأ وإظهار الندم قال الخليل، إن القوم تنهوا وقالوا نادمين على ما سلف منهم وَيْ

الشرح

فقال (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ موسى) أي من عشيرته وجماعته قال ابن عباس: كان ابن عم موسى (فبغى عَلَيْهِمْ) أي تجبر وتكبر على قومه، واستعلى عليهم بسبب ما منحه الله من الكنوز والأموال قال الطبري: أي تجاوز حدَّه في الكبر والتجبر عليهم (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الكنوز مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

بالعصبة أُوْلِي القوة) أي أعطيناه من الأموال الوفيرة، والكنوز الكثيرة ما يثقل على الجماعة أصحاب القوة حمل مفاتيح

خزائنه لكثرتها وثقلها فضلاً عن حمل الخزائن والأموال والآية تصويرٌ لما كان عليه قارون من كثرة المال والغنى والثراء (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ) أي لا تأشر ولا تبطر (إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفرحين) أي لا يحب البطرين الذين لا يشكرون الله على إنعامه، ويتكبرون بأموالهم على عباد الله (وابتغ فِيمَآ آتَاكَ الله الدار الآخرة) أي اطلب فيما أعطاك الله من الأموال رضى الله، وذلك بفعل الحسنات والصدقات والإِنفاق من الطاعات (وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدنيا) قال الحسن: أي لا تضيّع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إيّاه (وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ) أي أحسن إلى عبادِ الله كما أحسن الله إليك (وَلاَ تَبْغِ الفساد فِي الأرض) أي لا تطلب بهذا المال البغي والتطاول على الناس، والإِفساد في الأرض بالمعاصي (إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ المفسدين) أي لا يحب من كان مجرماً باغياً مفسداً في الأرض (قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ عندي) لمَّا وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والتكبر عن قبول الموعظة والمعنى: إنما أُعطيت هذا المال على علمٍ عندي بوجوه المكاسب، ولولا رضى الله عني

ومعرفته بفضلي واستحقاقي له ما أعطاني هذا المال (قال تعالى رداً عليه {أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الله قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القرون مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً) أي أولم يعلم هذا الأحمق المغرور أنَّ الله قد أهلك من قبله من الأمم الخالية من هو أقوى منه بدناً وأكثر مالاً؟} قال البيضاوي: والآية تعجبٌ وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله، مع علمه بذلك لأنه قرأه في التوراة، وسمعه من حفاظ التواريخ (وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ المجرمون) أي لا حاجة أن يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكميتها لنه عالمٌ بكل شيء، ولا يتوقف إهلاكه إياهم على سؤالهم بل متى حقَّ عليهم العذاب أهلكهم بغتة، ثم أشار تعالى إلى أن قارون لم يعتبر بنصيحة قومه، بل تمادى في غطرسته وغيِّه فقال تعالى (فَخَرَجَ على قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) أي فخرج قارون على قومه في أظهر زينةٍ وأكملها قال المفسرون: خرج ذات يوم في زينةٍ عظيمة بأتباعه الكثيرين، ركباناً متحلين بملابس الذهب والحرير، علىخيولٍ موشحةٍ بالذهب، ومعها اجواري والغلمان في موكبٍ حافلٍ باهر (قَالَ الذين يُرِيدُونَ الحياة الدنيا ياليت لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَارُونُ) أي فلما رآه ضعفاء الإِيمان ممن تخدعهم الدنيا ببريقها وزخرفها وزينتها قالوا: يا ليت لنا مثل هذا الثراء والغنى الذي أُعطيه قارون (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ) أي ذو نصيب وافرٍ من الدنيا (وَقَالَ الذين أُوتُواْ العلم) أي وقال لهم العقلاء من أهل العلم والفهم والاستقامة (وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً) أي ارتدعوا وانزجروا عن مثل هذا الكلام فإن جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين خيرٌ مما ترون وتتمنَّون من حال قارون قال الزمخشري: أصل (وَيْلَكُ) الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع، والبعث على ترك ما لا يرتضى (وَلاَ يُلَقَّاهَآ إِلاَّ الصابرون) أي ولا يُعطى هذه المرتبة والمنزلة في الآخرة إلا الصابرون على أمر الله قال تعالى تنبيهاً لنهايته المشئومة (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأرض) أي جعلنا الأرض تغور به وبكنوزه، جزاءً على عتوه وبطره (فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ) أي ما كان له أحد من الأنصار والأعوان يدفعون عنه

عذاب الله (الله وَمَا كَانَ مِنَ المنتصرين) أي وما كان المنتصرين بنفسه بل كان من الهالكين (وَأَصْبَحَ الذين تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ بالأمس) أي وصار الذين تمنوا منزلتُه وغناه بالأمس القريب بعد أن شاهدوا ما نزل به من الخسف (يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ الله يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) أي يقولون ندماً وأسفاً على ما صدر منهم من التمني: اعجبوا أيها القوم من صنع الله، كيف أن الله يوسّع الرزق لمن يشاء من عباده - بحسب مشيئته

وحكمته - لا لكرامته عليه، ويضيّق الرزق على من يشاء من عباده - لحكمته وقضائه ابتلاءً - لا لهوانه عليه!! قال الزمخشري: (وَيْكَأَنَّ) كلمتان «وَيْ» مفصولة عن «كأنَّ» وهي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم، ومعناه أن القوم تنبهوا على خطئهم في تمنيهم منزلة قارون وتندموا وقالوا (لولا أَن مَّنَّ الله عَلَيْنَا) أل لولا أنَّ الله لطف بنا، وتفضَّل علينا بالإِيمان والرحمة، ولم يعطنا ما تمنيناه (لَخَسَفَ بِنَا) أي لكان مصيرنا مصير قارون، وخسف بنا الأرض كما خسفها به (وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكافرون) أي أعجبُ من فعل الله حيث لا ينجح ولا يفوز بالسعادة الكافرون لا في ادنيا، ولا في الآخرة.

. وإلى هنا تنتهي «قصة قارون» وهي قصة الطغيان بالمال، بعد أن ذكر تعالى قصة الطغيان بالجاه والسلطان في قصة فرعون وموسى، ثم يأتي التعقيب المباشر في قوله تعالى (تِلْكَ الدار الآخرة نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأرض وَلاَ فَسَاداً) الإِشارة للتفخيم والتعظيم أي تلك الدار العالية الرفيعة التي سمعت خبرها، وبلغك وصفها هي دار النعيم الخالد السرمدي، التي فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نجعلها للمتقين الذين لا يريدون التكبر والطغيان، ولا الظلم والعدوان

في هذه الحياة الدنيا (والعاقبة لِلْمُتَّقِينَ) أي العاقبة المحمودة للذين يخشون الله ويراقبونه، ويبتغون رضوانه ويحذرون عقابه (مَن جَآءَ بالحسنة فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا) أي من جاء يوم القيامة بحسنةٍ من الحسنات فإن الله يضاعفها له أضعافاً كثيرة (وَمَن جَآءَ بالسيئة فَلاَ يُجْزَى الذين عَمِلُواْ السيئات إِلاَّ مَا كَانُواْ

التذوق

جناس الاشتقاق (لاَ تَفْرَحْ.. الفرحين) ومثله (الفساد.. المفسدين).

٤ - تأكيد الجملة ب (إِنَّ) و (اللام) (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) لأن السامع شاك ومتردّد.

٥ - الكناية (تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُ بالأمس) كنَّى عن الزمن الماضي القريب بلفظ الأمس.

٦ - الطباق (يَبْسُطُ الرزق.. وَيَقْدِرُ).